الفصل الثاني

صفات الله تعالى وأسماؤه الحسنى

ويشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول: أسماء الله الحسنى

المبحث الثاني: صفات الله سبحانه

المبحث الأول

أسماء الله الحسنى

أسماء الله عز وجل هي أعلام عليه، أخبرنا الله عز وجل بها في كتابه ووردت عن النبي ﷺ في أحاديثه، وهذه الأسماء أمرنا الله عز وجل أن ندعوه بها ونتقرب إليه بها، يقول سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

يقول الرازي: «**الإلحاد في أسماء الله يقع على ثلاثة أوجه**:

الأول: إطلاق أسماء الله المقدسة الطاهرة على غير الله مثل تسمية الكفار أوثانهم بالآلهة، ومن ذلك أنهم سموا أصنامًا لهم باللات، والعزى والمناة، واشتقاق اللات من الإله والعزى من العزيز ومناة من المنان.

الثاني: أنهم سموا الله بما لا يجوز تسميته به مثل تسمية من سماه أبًا للمسيح وقول جمهور النصارى آب، وابن ، وروح قدس.

الثالث: أن يذكر العبد ربه بلفظ لا يعرف معناه ولا يتصور مسماه فإنه ربما كان مسماه أمرًا غير لائق بجلال الله» [(١)].

والأسماء جمع اسم همزته وصل وأصله مشتق من سموت ؛ لأنه تنويه ورفعة وهو من «**السمو**» والارتفاع والعلو [(٢)].

والحسنى جمع أحسن وهو أفعل تفضيل من الحسن وسميت الحسنى لدلالتها على أحسن مسمى وأشرف مدلول [(٣)].

---

(١) التفسير الكبير (١٥/٧١- ٧٢).

(٢) مختار الصحاح (ص ٢٨٩).

(٣) الإيمان أركانه وحقيقته (ص ٢١).

وتوحيد الله في أسمائه يقتضي الإيمان بكل اسم سمى الله به نفسه أو أنزله في كتابه أو علمه أحدًا من خلقه أو استأثر به في علم الغيب عنده.

عدد الأسماء الحسنى:

وردت نصوص تثبت أن الله تعالى له تسعة وتسعين اسمًا ، من هذه الأحاديث ما روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا فمن أحصاها دخل الجنة إنه وتر يحب الوتر**» (١).

لكن هل الأسماء محصورة في هذا العدد؟

العلماء على رأيين: فريق يقول إن أسماء الله منحصرة في هذا العدد.

وفريق آخر يقول: إن الأسماء ليست منحصرة في هذا العدد، وحجتهم ما ورد عن النبي ﷺ: «**ما أصاب أحدا همٌّ ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي وجلاء حزني وذهاب همي وغمي إلا أذهب الله عنه همه وأبدله مكان همه فرحًا**»، قالوا: يا رسول الله ألا نتعلم هذه الكلمات؟ قال: «**بلى ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن**» (٢).

وقد نقل النووي اتفاق العلماء على أن العدد غير محصور في هذه الأسماء ويكون معنى من أحصاها دخل الجنة فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء، ومعنى إحصائها معرفتها وحفظها والإيمان بها وحسن المراعاة لها ودعاء الله بها. ويكون معنى الحديث: «من

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد (٣٧٧/١٣).

(٢) رواه أحمد وأبو عوانة في صحيحه قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني وقد وثقه ابن حبان.

حفظها متفكرًا في مدلولاتها معتبرًا عاملًا بمقتضاها مقدسًا لمسماها دخل الجنة» [١].

وقد قال بعض العلماء: إنما خص التسعة والتسعين اسمًا لأنها أكثر الأسماء وأبينها معنى ولا يدل ذلك على الحصر، إن أكثر هذه الأسماء صفات وصفات الله تعالى غير متناهية [٢].

وأسماء الله الحسنى الواردة في القرآن هي:

١- أسماء الله بذاته تعالى وهي:

الواحد. الأحد. الحق. القدوس. الصمد. الغني. الأول. القيوم.

٢- أسماء متعلقة بالتكوين وهي:

الخالق. البارئ. المصور. البديع.

٣- أسماء متعلقة بصفتي الحب والرحمة فيما عدا رب ورحمن ورحيم:

وهي: الرءوف. الودود. اللطيف. الحليم. العفو. الشكور. المؤمن. البار. رفيع الدرجات. الرزاق. الوهاب. الواسع.

٤- أسماء متعلقة بعظمة الله وجلاله وهي:

العظيم. العزيز. العلي. المتعالي. القوي. القهار. الجبار. المتكبر. الكبير. الكريم. الحميد. المجيد. المتين. الظاهر. ذو الجلال والإكرام.

٥- أسماء متعلقة بعلمه تعالى وهي:

العليم. الحكيم. السميع. الخبير. البصير. الشهيد. الرقيب. الباطن. المهيمن.

* * *

(١) الإيمان أركانه وحقيقته (ص ٢٢)، وانظر: في العقيدة الإسلامية (ص ٣٨).
(٢) انظر: في العقيدة الإسلامية (ص ٣٩).

٦- أسماء متعلقة بقدرته تعالى وتدبيره للأمور وهي:

القادر. الوكيل. الولي. الحافظ. المالك. الملك. الفتاح. الحسيب. المنتقم. المقيت.

٧- وهناك أسماء أخرى لم تذكر بالنص في القرآن ولكنها استمدت من أفعال أو صفات له تعالى وردت بالقرآن وهي:

القابض. الباسط. الرافع. المعز. المذل. المجيب. الباعث. المحصي. المبدئ. المعيد. المحيي. المميت. مالك الملك. الجامع. المغني. المعطي. المانع. الهادي. الباقي. الوارث.

٨- وهناك أسماء أخرى له تعالى مستمدة من المعاني الواردة في القرآن الكريم وهي:

النور. الصبور. الرشيد. المقسط. الوالي. الجليل. العدل. الخافض. الواحد. المقدم. المؤخر. الضار. النافع [١].

اسم الله الأعظم

إذا كانت تلك الأسماء التي وردت وغيرها كثير نؤمن بها وإن لم نعرفها، فإن الرسول ﷺ ينبهنا على أن الله له اسم أعظم إذا دُعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى.

١- عن بريدة رضي الله عنه قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو وهو يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يكن له كفوًا أحد، قال: فقال: «**والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سُئل به أعطى**» [٢].

(١) انظر: العقائد الإسلامية (ص ٢٧- ٢٨) للشيخ سيد سابق، الفتح للإعلام العربي.

(٢) رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وقال المنذري: قال شيخنا أبو الحسن المقدسي: إسناده لا مطعن فيه ولا أعلم أنه روي في هذا الباب أجود منه. وقال الحافظ ابن حجر: هذا الحديث أرجح ما ورد في هذا الباب من حيث السند.

٢- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخل النبي ﷺ المسجد ورجل قد صلى وهو يدعو ويقول في دعائه: اللهم لا إله إلا الله أنت المنان بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام، فقال النبي ﷺ: «**أتدرون بما دعا الله؟ دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سُئل به أعطى**» (١).

٣- وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين**: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة :١٦٣] ، ﴿الم اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة :٢٥٥] » (٢).

يقول شارح الطحاوية: «**واعلم أن هذين الاسمين «الحي القيوم»** مذكوران في القرآن معًا وهما من أعظم أسماء الله الحسنى حتى قيل إنهما الاسم الأعظم فإنهما يتضمنان إثبات صفات الكمال أكمل تضمن وأصدقه» (٣).

٤- وعن سعيد بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**هل أدلكم على اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سُئل به أعطى؟ الدعوة التي دعا يونس حيث نادى في الظلمات الثلاث** ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء :٨٧] ». فقال رجل: يا رسول الله هل كان ليونس خاصة أم للمؤمنين عامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**ألا تسمع قول الله عز وجل**: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء :٨٨] » (٤).

هذه الأحاديث في جملتها تبين أن لله تعالى أسماء حُسنى لها منزلة خاصة عنده سبحانه إذا سأل المؤمن ربه بها استجاب له، هكذا أخبر ﷺ، أما ما يزعمه البعض أن لبعض الأسماء خواص، يحصل بها العجائب والخوارق، وأن لكل اسم من أسمائه خادمًا روحانيًّا يخدم من يواظب على الذكر به، لا شك

---

(١) رواه أبو داود والترمذي والنسائي.

(٢) رواه أحمد والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) شرح الطحاوية (ص ٧٧).

(٤) رواه الحاكم وانظر مختصر ابن كثير للصابوني (ص ٥١٩).

أن هذا أمر زائد على ما ورد عن رسول الله وأن القائلين بذلك مولعون بادعاء الخصوصيات والزيادة على المأثور، والصحيح أن الله اختار من أسمائه ما كشفه لنا لتكون وسيلة نتعرف بها عليه وأن الإنسان إذا واظب على ذكر الله بها طهرت نفسه وصفت روحه خاصة إن كان حاضر القلب فاهم المعنى، أما ما سوى ذلك فهو غلو قد نهى الشرع عنه وحسبنا الاقتصار على ما ورد في الشرع [١].

* * *

(١) انظر: هامش العقائد الإسلامية (ص ٢٩)، والأسماء والصفات (ص ٣٥) د/ يحيى ربيع.

المبحث الثاني

صفات الله سبحانه

مر بنا بعض الأدلة على وجود الله تعالى وكل موجود لا بد له من صفات يتصف بها، وما دام الله موجودًا فإنه لا بد وأن يتصف بصفات كمال تليق به سبحانه وتعالى ويجب أن ينزه الله تعالى عن صفات النقص التي لا تليق بالخالق المبدع الذي أحسن كل شيء خلقه، ولقد وصف الله تعالى نفسه بصفات في القرآن الكريم نحو قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى :١١] .

والذي يعتقد في صفات الله سبحانه أن الله لا يشبه أحدًا من خلقه ولا يشابهه أحد وما أطلقه الله على نفسه أو على خلقه لا يدل على التشابه بينهما في المعنى الحقيقي إذ صفات القديم جل وعز بخلاف صفات المخلوق.

والواجب على المؤمن في باب إثبات الصفات لله تعالى:

أولًا: تنزيه الله عز وجل عن مشابهة خلقه وعن أي نقص.

ثانيًا: الإيمان بالأسماء والصفات الواردة في القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ بلا زيادة ولا نقصان، ومن غير تحريف ولا تعطيل.

ثالثًا: قطع الطمع عن إدراك هذه الصفات [١].

يقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: «**لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ** بما لا يتجاوز القرآن والحديث» [٢].

---

(١) الإيمان والحقيقة وأركانه (ص ١٦).

(٢) شرح العقيدة الواسطية (ص ٢١) الشيخ محمد خليل هراس.

وقال نعيم بن حماد شيخ البخاري: «**من شبه الله بخلقه كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيه ولا تمثيل**».

ولا يجوز أن يعتقد أن الله وُصف بصفة بعد أن لم يكن متصفًا بها ؛ لأن صفاته سبحانه صفات كمال وفقدها صفات نقص ولا يجوز أن يكون قد حدث له الكمال بعد أن كان متصفًا بضده ولا يرد على هذا صفات الفعل والصفات الاختيارية ونحوها كالخلق والتصوير والإحياء والإماتة والقبض والبسط والطي والاستواء والإتيان والمجيء والنزول والغضب والرضا ونحو ذلك مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله، وإن كنا لا ندرك كنهه وحقيقته التي هي تأويله ولا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا [١]، هذا هو الاعتقاد الذي يجب على المؤمن أن يعتقده في صفات الله سبحانه وتعالى.

ولا عبرة لما ذهب إليه «**ابن حزم**» من أنه لا يجوز أن نطلق لفظ الصفات على الله سبحانه وتعالى، ويشتط ابن حزم في نفي لفظ الصفات على الله، زاعمًا أن ذلك محال، يقول:

«وأما إطلاق لفظ الصفات لله تعالى فمحال لا يجوز ؛ لأن الله تعالى لم ينص قط في كلامه المنزل على لفظ الصفات ولا على لفظ الصفة، ولا حفظ عن النبي ﷺ بأن لله تعالى صفة أو صفات نعم ولا جاء قط ذلك عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم ولا عن أحد من خيار التابعين ومن كان هكذا فلا يحل لأحد أن ينطق به، فلا يجوز القول بلفظ الصفات ولا اعتقاده بل هي بدعة منكرة [٢]، قال الله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن

(١) شرح الطحاوية (ص ٧٩- ٨٠).
(٢) الفصل (٢/٩٥).

﴿رَبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰ﴾ [النجم :٢٣] .

ثم يقول بأن الذي اخترع لفظ الصفات **«المعتزلة وهشام ونظراؤه من رؤساء الرافضة وسلك سبيلهم قوم من أصحاب الكلام سلكوا غير مسلك السلف الصالح ليس فيهم أسوة ولا قدوة وحسبنا الله ونعم الوكيل»** (١).

هذا ما زعمه «ابن حزم» مخالفًا به إجماع المسلمين، ويمكن الرد على ابن حزم بالآتي:

أولًا: أن الله تعالى ذكر في القرآن الكريم أسماء وأخبر عن هذه الأسماء بمصادرها والإخبار عن الاسم بالمصدر دليل على أن لهذه الأسماء معان وأوصافًا، ولو لم يشتمل على معان وأوصاف لما أخبر الله عنها بمصادرها، بل إن الله عز وجل أثبت لنفسه تلك المصادر ووصف نفسه بها.

يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات :٥٨]، فالقوة هنا مصدر ووصف أخذ منه اسم القوي ، ويقول تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر :١٠] ، هنا يثبت الله لنفسه وصف العزة ويشتق منه اسم العزيز، ويقول تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء :١٦٦]، ويقول: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ [البقرة :٢٥٥]، ويشتق منه اسم العليم، ويقول سبحانه: ﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾ [الأعراف :١٤٤] ، وهو وصف اشتق منه اسم المتكلم، وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الكهف :٥٨] .

وهكذا في أسماء الله كلها حيث إنها أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وصفات باعتبار ما دلت عليه من المعاني، والقرآن دل على ذلك كما بينا، وقد أجمع أهل اللغة والعرف على أنه لا يقال عليم إلا لمن له علم، ولا سميع إلا لمن له سمع، ولا بصير إلا لمن له بصر، وهذا أمر أبين من أن يحتاج إلى دليل (٢).

---

(١) الفصل (٢/٩٥).

(٢) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى للشيخ ابن عثيمين نقلاً عن: في الأسماء والصفات (ص ٤١) حولية أصول الدين ١٩٩٣م.

ثانيًا: ورد في السنة أحاديث عن رسول الله ﷺ يثبت فيها الله عز وجل السمع والقدرة والعلم وغيرها من صفات الله تعالى.

يقول ﷺ: «**الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات**» وفي حديث الاستخارة: «**اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك**»، فالرسول ﷺ يثبت لله عز وجل السمع والعلم والقدرة وهي من الصفات التي وصف بها الله سبحانه وتعالى.

ثالثًا: أئمة الإسلام اجتمعوا على إثبات الصفات لله سبحانه على أدلة منها أن فقهاء المدينة وهم السبعة من خيرة التابعين عرفوا ربهم بصفاته كما نطق بها الكتاب وشهد بها رسول الله ﷺ على حد رواية أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني [(١)].

يقول الشهرستاني: «**اعلم أن جماعة كبيرة من السلف كانوا يثبتون لله تعالى الجلال والإكرام والجود والإنعام ، والعزة والعظمة ولا يفرقون بين الذات وصفات الفعل بل يسوقون الكلام سوقًا واحدًا، ولما كانت المعتزلة ينفون الصفات، والسلف يثبتون، سُمي السلف صفاتية والمعتزلة معطلة**» [(٢)].

ويقول مطرف: «**الحمد لله الذي من الإيمان به الجهل بغير ما وصف به نفسه**».

وسفيان بن عيينة يقول: «**كل ما يوصف الله به نفسه في القرآن فقراءته تفسير**».

وهو يقصد والله أعلم أن اللفظ يبقى على ظاهره ونؤمن به كما ورد وقد وردت عبارة: «**كل ما يصف الله به نفسه**» كثيرًا على لسان الإمام مالك والأوزاعي والليث بن سعد والشافعي وغيرهم [(٣)].

رابعًا: يذكر ابن القيم أن الأسماء لو لم تشتمل على معان وصفات لما صح أن يخبر عنها بأفعال فلا يقال يسمع ويرى ويعلم ويقدر ويريد لأن ثبوت

(١) انظر: ابن قدامة رسالة ذم التأويل (ص ٧١) وما بعدها نقلاً عن «**في الأسماء والصفات**» (ص ٤٢).

(٢) الملل والنحل بهامش الفصل (٩٥/١)، طبعة السلام العالمية.

(٣) انظر أستاذنا الدكتور عبد الله الشاذلي: الألوهية في الفكر الإسلامي (ص ١٨٢).

أحكام الصفات فرع ثبوتها على أصل إثبات الصفة فإذا انتفى أصل الصفة استحال ثبوتها [١].

بعد هذه الحجج الدامغة والنصوص الصريحة الواضحة يظهر بطلان ما ذهب إليه ابن حزم من نفيه للصفات، ووصفه - بغير حق - لمن يقول بها بالمبتدع، نعم قد يكون هناك بعض المبتدعة الذين أضافوا صفات لله لم ترد بنصها ولا بمعناها أو يكون هناك بعض المبتدعة كالمجسمة والمشبهة، والمعطلة.. لكن من يطلق فقط لفظ الصفات على الله ، كما وردت لا ينبغي أن يقال عنه مبتدع والأولى أن نقول إنه متبع واقف عند نصوص الكتاب والسنة.

الصفات وأقسامها:

قام العلماء بتقسيم الصفات تسهيلاً للدارسين، بعد إجماعهم على أنه يجب لله كل كمال يليق بذاته المقدسة ويستحيل عليه كل نقص، لا يليق بذاته سبحانه.

اما تفصيلاً فقد ذكروا ثلاث عشرة صفة وقسموها ثلاثة أقسام:

الأول: صفة نفسية واحدة: وهي صفة الوجود.

الثاني: صفات سلبية وهي خمس:

١- الوحدانية.

٢- الأول.

٣- الآخر.

٤- المخالفة للحوادث.

٥- القيام بالنفس.

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١/٢٨- ٣٠) وراجع بحث الدكتور يحيى ربيع: في الأسماء والصفات «**حولية أصول الدين**» ١٩٩٣م.

الثالث: صفات المعاني: وهي القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام [١].

والبعض يقسم الصفات إلى صفات ذات وهي الصفات السابقة وبالجملة هي كل كمال يليق به سبحانه وصفات فعل نحو: الرزق والإماتة والإحياء والغضب والسخط وغيرها.

١- صفة الوجود:

تعرف بأنها صفة نفسية ثبوتية يدل الوصف بها على نفس الذات دون معنى زائد عليها، ومعنى صفة نفسية ثبوتية أنها نسبت للنفس - أي الذات - لأنه لا تتعقل إلا بها فلا تتعقل نفس إلا بوجودها [٢].

والدليل على وجوب الوجود لله: أن الله يجب افتقار العالم إليه وكل من وجب افتقار العالم إليه فهو واجب الوجود [٣].

وقد ذكرنا الأدلة المتنوعة عند إثبات وجود الله، عند مناقشة شبهات المنكرين للألوهية، فليرجع هناك.

٢- الصفات السلبية:

وهي صفات تنفي عن الله معنى لا يليق بذاته سبحانه وتعالى، وسميت سلبية لأنها نفت عن الله أمرًا وجوديًّا للذات الإلهية، فعندما نقول الله تعالى هو الأول، فإن لفظ الأول لم يضف للذات الإلهية وصفًا وجوديًّا كالقدرة والإرادة وإنما يفهم منه فقط أن الله تعالى ليس بحادث [٤]، والآخرية تسلب

(١) انظر: دراسات في العقيدة الإسلامية (ص ٤٥).
(٢) شرح جوهرة التوحيد (ص ٦٣).
(٣) المصدر السابق (ص ٦١).
(٤) انظر: في العقيدة الإسلامية (ص ٢٨) لأستاذنا الدكتور عوض الله حجازي، وانظر: دراسات في العقيدة الإسلامية (ص ٤٩) للدكتور يحيى ربيع.

أخرية الوجود والوحدانية تسلب التعدد والمخالفة للحوادث تسلب المماثلة لها والقيام بالنفس وتسلب الافتقار إلى الغير [١].

وليس المقصود من ذكر هذه الصفات الخمس أنها محصورة في هذا العدد فالله منزه عن الولد والصاحبة والجسمية ولكن بنظرة فاحصة سترى مثل هذا عائدًا إلى هذه الصفات الخمس، فالعدد ليس على سبيل الحصر ولكن على أساس أنها أمهات وأصول [٢] لغيرها من الصفات الواجبة له سبحانه.

أولاً: الوحدانية:

هي أشرف الصفات ولذلك سُمي بها علم التوحيد. وكثر التنبيه والثناء عليها في الآيات القرآنية.

فالله واحد في ذاته: بمعنى أن ذاته لا تشبه شيئًا ولا يشبهها شيء، والله واحد في صفاته بمعنى أن صفاته من العلم والقدرة والإرادة وغيرها لا يشاركه فيها أحد من خلقه.

والله واحد في أفعاله: بمعنى أن أفعاله خاصة به وليس لأي مخلوق أن يُوجِد مِثْل فعله لا خلقًا ولا عدمًا ولا تدبيرًا، فهذه الأمور كلها لله، ومن يعتقد أن أحدًا يشارك الله في ذاته أو صفاته أو أفعاله فهو كافر ومشرك [٣].

والوحدانية تعني توحيد الألوهية الذي يعني أن الله وحده هو المستحق للعبادة لا شريك له.

وتوحيد الربوبية أن الله وحده خالق كل شيء.

وتوحيد الصفات بمعنى أن الله لا يشبهه أحد من خلقه.

---

(١) في الأسماء والصفات (ص ٥٩).

(٢) المصدر السابق (٦٠).

(٣) في العقيدة الإسلامية (ص ٢٨)، وانظر: جوهرة التوحيد (ص ٦٧) والدين الخالص (ص ٩، ١٠).

وقد جاءت الأنبياء والرسل بهذا التوحيد بأنواعه فهو أول دعوة للرسل وأول منازل الطريق وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله تعالى [١].

يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون :٢٣] .

وقال هود عليه السلام لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف :٥٩] .

وقال صالح عليه السلام لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف :٥٩].

وبالجملة قال الله تعالى للناس على لسان جميع الرسل: اعبدوا الله، يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل :٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء :٢٥].

وقد تضمنت سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص :١-٤] ، عدة أمور: منها:

١- إثبات ألوهية الله تعالى المستلزمة لاتصافه بكل صفات الكمال كالعلم والقدرة والإرادة.

٢- إثبات أحديته الموجبة تنزيهه تعالى عن التعدد والتركيب وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتجزؤ والمشاركة في الخلقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة.

---

(١) انظر العقيدة الطحاوية (ص ٢٦).

٣- إثبات صمديته تعالى المقتضية استغناءه عن كل ما سواه وافتقار كل ما عداه إليه في الوجود وسائر الأحوال.

٤- إبطال زعم من زعم أن له ولدًا كاليهود والنصارى بقوله: «لم يلد» لأن الولد من جنس أبيه والله لا يجانسه أحد ولا يجانس أحدًا ولا يفتقر إلى من يعينه أو يخلفه لامتناع احتياجه وفنائه.

٥- إثبات أوليته بقوله: «لم يلد» أي لم يفصل عن غيره وهذا لا نزاع فيه وإنما ذكر لتقرير ما قبله إذ المعهود أن ما لا يولد لا يلد.

٦- نفي مماثلة شيء له تعالى في أي زمان كان لأن ما لا يوجد في الماضي لا يكون في الحال. ضرورة أن الحادث لا يكون كفئًا للقديم [١].

وسورة الإخلاص هي سورة الوحدانية، ولذلك تعدل ثلث القرآن كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ.

ومن الأدلة التي يستدل بها على الوحدانية ويعول عليها كثير من العلماء قول الله سبحانه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء :٢٢]، وهو ما يسمى بدليل التمانع وهو وإن كان نصيًّا إلا أن فحواه عقلي.

يقولون: لو وجد إلهان لما وجد شيء من العالم لكن عدم وجود شيء من العالم باطل بالمشاهدة إذًا يبطل وجود إلهين، وإذا بطل وجود إلهين ثبت نقيضه وهو وجود إله واحد، وإنما لزم من وجود الإلهين عدم وجود العالم لأنه لو وجد إلهان متساويان في القدرة والإرادة لحصل الخلاف بينهما بالضرورة، فإن أراد أحدهما وجود العالم وأراد الآخر عدمه فلا بد حينئذ أن يتحقق فرض من فروض ثلاثة لا رابع لها:

الأول: إما أن ينفذ مرادهما فيجتمع الضدان.

---

(١) الدين الخالص (ص ١٠- ١١).

الثاني: وإما أن لا ينفذ مرادهما فيلزم عجزهما.

الثالث: وإما أن ينفذ مراد أحدهما دون الآخر، وعلى تقدير حصول كل فرض من الثلاثة يحصل المحال، وما أدى إلى المحال يكون محالاً وإذا بطل التعدد في الآلهة ثبتت الوحدانية [١].

وقد نقد دليل التمانع عند المتكلمين «الآمدي» في غاية المراد «وابن رشد» في منهاج الأدلة يقول: «**أما ما تتكلفه الأشعرية من الدليل الذي يُسمى بالممانعة فشيء ليس يجري مجرى الأدلة الطبيعية والشرعية؛ لأنه من الناحية الشرعية لا يقدر الجمهور على فهمه فضلًا عن أن يقع لهم به إقناع، وأما أنه ليس يجري مجرى الأدلة الطبيعية فلأنهم قسموا الآية ثلاثة أقسام وليس في الآية تقسيم**» [٢].

مستلزمات التوحيد:

بعد أن عرضنا أهمية التوحيد وأنه دعوة جميع الأنبياء والمرسلين نخلص إلى:

ما الذي يلزم المؤمن الموحد بعد أن أيقن بهذه العقيدة؟

١-وجوب إخلاص المحبة لله عز وجل فلا يتخذ العبد ندًّا لله في الحب يحبه كما يحب الله أو يقدمه في المحبة على حب الله عز وجل، فمن فعل ذلك كان من المشركين، قال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة :١٦٥].

٢-وجوب إفراد الله سبحانه وتعالى في الدعاء والتوكل والرجاء فيما لا يقدر عليه إلا هو سبحانه وتعالى، يقول عز وجل: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس :١٠٦]، وقال تعالى:

---

(١) دراسات في العقيدة الإسلامية (ص ٤٩- ٥٠)، وانظر جوهرة التوحيد (ص ٦٨، ٦٩)، وانظر شرح التفتازاني على العقائد النسفية (ص ٦٣- ٦٣).

(٢) منهاج الأدلة (ص ١٥٧- ١٥٨).

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة :٢٣].

٣-وجوب إفراد الله تعالى بالخوف منه فمن اعتقد أن بعض المخلوقات تضره بمشيئتها وقدرتها فخاف منها فقد أشرك بالله لقوله تعالى: ﴿فَإِيَّىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [النحل :٥١] ، ولقوله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس :١٠٧].

وهنا يجب أن نفرق بين خوف العبادة الذي ينبغي أن يكون لله، وهذا هو المعول عليه في الدين، أما الخوف الفطري الغريزي فهذا لا شيء فيه كمن يرى ثعبانًا فيخاف أو حيوانًا مفترسًا أو الخوف عند إشهار السلاح، فهذا من الخوف الفطري الذي فطر الله الناس عليه.

٤-من مستلزمات التوحيد وجوب إفراد الله سبحانه وتعالى بجميع أنواع العبادات البدنية من صلاة وركوع وسجود، وصوم وذبح وطواف وجميع العبادات فيجب أن تكون لله وحده [١].

٢- صفة الأول «القدم»:

ومعنى الأول: أن الله لم يسبقه عدم وكون الله هو الأول ينفي عنه سبحانه وتعالى الحدوث.

والدليل على كون الله هو الأول قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحديد :٣] .

وقال ﷺ فيما رواه البخاري عن عمران بن حصين: **«كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السماوات والأرض وكتب في الذكر كل شيء»** [٢].

(١) انظر: الإيمان حقيقته وأركانه (ص ١٤- ١٥).

(٢) صحيح البخاري، باب: وكان عرشه على الماء (٩/١٥٠).

في هذا الحديث يبين النبي ﷺ أن جميع الموجودات سوى الله محدثة أما الدليل العقلي فيمكن صياغته كالتالي: ثبت أن موجد العالم هو الله وهو واجب الوجود لذاته؛ لأنه لو لم يكن هو الأول [١]، لكان حادثًا ولأدى ذلك إلى المحال وكل ما أدى إلى المحال فهو محال.

٣-صفة الآخر «البقاء»:

فمعنى الآخر عدم آخرية الوجود لله تعالى أي ليس لوجوده نهاية فلا يكون فانيًا، فالآخر ينفي عن الله تعالى الفناء فهو أمر لا يليق بذاته سبحانه وتعالى.

والدليل على صفة البقاء: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمٰن :٢٧]، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحديد :٣] .

٤-المخالفة للحوادث:

ومعنى هذه الصفة أن الله مخالف لجميع الكائنات في ذاته وصفاته وأفعاله، فهو ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد :٣] وغيره له بداية ويلحقه العدم، والآية الجامعة في هذا الشأن قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى :١١] .

٥-القيام بالنفس:

ومعنى تلك الصفة أنه غني عن العالمين والجميع محتاج إليه، ويقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر :١٥]، ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد :٣٨]، فالله غني عن عباده وهم فقراء إليه؛ لأنه سبحانه لو احتاج إلى شيء لكان حادثًا وحدوثه محال،

---

(١) آثرت أن أستخدم الأول بدلاً من القديم لأن التعبير بالأول هو تعبير القرآن الكريم، وقد أنكر كثير من السلف والخلف إطلاق لفظ القديم على الله؛ لأن الشرع جاء باسمه الأول وهو أحسن من القديم؛ لأنه يشعر بأن ما بعده آيل إليه وتابع له بخلاف القديم والله تعالى له الأسماء الحسنى. انظر شرح الطحاوية (ص ٦٧- ٦٨).

وبالتالي فاحتياجه محال [١].

ثانيًا: صفات المعاني أو الصفات الوجودية:

يطلق عليها وجودية ؛ لأنها موجودة متحققة فيه تعالى، ويطلق عليها صفات المعاني أو الصفات الثبوتية وذلك لأنها تدل على معنى زائد على الذات أو يجب إثباتها في حقه تعالى ويقوم إثباتها في حقه من وجهين:

الأول: اقتضاء كماله لها.

الثاني: دلالة أفعاله عليها [٢].

أ-صفة القدرة:

هي صفة أزلية قائمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه على وفق الإرادة [٣].

ومعنى كونها قديمة ؛ لأن الله تعالى لا يوصف بالحوادث ومعنى قائمة بذاته، أن الصفة لا قيام لها بنفسها فلا بد من ذات تقوم بها ويتأتى بسببها ؛ لأن الله هو الفاعل على الحقيقة.

أما تعلقها فهي لا تتعلق إلا بالممكن- أي الشيء الذي يقبل الوجود تارة والعدم تارة أخرى- فهي لا تتعلق بالواجب ؛ لأنها لا يصح أن تعدمه ؛ لأنه لا يقبل العدم ولا يصح أن توجده؛ لأنه موجود بالفعل، فيكون كتحصيل الحاصل، ولا تتعلق بالمستحيل ؛ لأن المستحيل لا وجود له، وهو عدم، ككون الابن أكبر من أبيه، والجزء أكبر من الكل، وكوجود الشريك والصاحبة والولد. تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

* * *

(١) الدين الخالص (ص ٩).
(٢) انظر: في الأسماء والصفات (ص ٦٠).
(٣) جوهرة التوحيد (ص ٧٢).

ب-الإرادة:

وهي صفة قديمة زائدة على الذات قائمة بها تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه فتجعله طويلاً أو قصيرًا حسنًا أو قبيحًا عالمًا أو جاهلاً في هذا المكان أو في غيره وهو سبحانه يتصرف في ملكه حسب مشيئته وإرادته وحكمته [١].

والدليل عليها: قوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود :١٠٧] ، وقوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ [القصص :٦٨]، وقوله: ﴿يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة :٦] ، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٢٦ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء :٢٦-٢٧].

وقوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل :٤٠].

هذه جملة آيات تثبت أن الله فعال لما يريد وأنه لا راد لأمر الله.

تعلق الإرادة:

تتعلق الإرادة بالممكنات مثل صفة القدرة، غير أن الفرق بين تعلق القدرة والإرادة أن القدرة تعلق إيجاد وإعدام، أما الإرادة فهي تعلق تخصص، فإذا تعلقت القدرة بإيجاد إنسان مثلاً فالقدرة صالحة ؛ لأن توجده طويلاً أو قصيرًا أبيضًا أو أسود، ولكن إرادة الله تعالى هي التي تخصص هذا الإنسان بصفته كالطول بدل القصر والبياض بدل السواد وفي الزمن المعين بدل غيره من الأزمنة فعملها يسبق عمل القدرة ويلي عمل العلم بالنسبة للممكنات [٢].

---

(١) انظر: جوهرة التوحيد (ص ٧٤)، والعقائد الإسلامية (ص ٥٩) للشيخ سيد سابق.

(٢) انظر دراسات في العقيدة الإسلامية (ص ٥٦- ٥٧).

إرادة الله للخير والشر:

إجماع أهل السنة والجماعة على أن الله يريد جميع الأشياء، خيرها وشرها؛ لأن ما نحسبه خيرًا قد يكون هو الشر بعينه، وما نراه شرًّا، قد يكون هو الخير الذي ما بعده خير، وحسبنا قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة :٢١٦]، وإنما ينسب الخير لله والشر للإنسان تأدبًا وإن كان الكل من عند الله.

نقرر هذا لأن المعتزلة يقولون بأن الله لا يريد الشر، وهم يريدون بذلك تنزيه الله عن فعل الشرور ولكن أدى بهم هذا إلى نسبة العجز إلى الله سبحانه وتعالى؛ لأن على مذهبهم الله لا يريد الكفر، والكفر قد وقع بالفعل من الكافر، فيلزم من ذلك: أن يقع في ملك الله ما لا يريده، فكأنهم أرادوا أن ينزهوا الله فوقعوا من حيث لا يشعرون إلى وصفه بالعجز «**فقد وقف أعرابي على حلقة فيها (عمرو بن عبيد) فقال الأعرابي: يا هؤلاء إن ناقتي سُرقت فادعوا الله أن يردها عليَّ، فقال عمرو بن عبيد: اللهم إنك لم ترد أن تسرق ناقته فسرقت فارددها عليه. فقال الأعرابي: لا حاجة لي في دعائك، قال: ولم؟ قال: أخاف كما أراد أن لا تُسرق فسُرقت أن يريد ردها فلا يردها**»[(١)].

الفرق بين الإرادة والأمر والمحبة والرضا:

هناك فرق بين إرادة الشيء والأمر به.

١-فقد يريد الله عز وجل شيئًا ويأمر به، كإيمان المؤمنين الذين علم الله عنهم الإيمان، فأراد الإيمان وأمرهم به كالصحابة وغيرهم من المؤمنين الذين ماتوا على ذلك.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص٢٧).

٢-وقد لا يريد ولا يأمر، فالله عز وجل لا يريد الكفر، ولا يأمر به قبل وقوعه.

٣-وقد يريد ولا يأمر كالكفر الواقع بالفعل بمن كفر، وكالمعاصي فإنه أرادها ولم يأمر بها [١].

ولا نقول كيف يريد شيئًا ولا يأمر به؟ نقول: إن الله لا يأمر بالكفر ولا بالفحشاء ولكن وقوعها من الكافر والفاسق، يريده الله؛ لأنه لا يقع في ملك الله ما لا يريده ولو قلنا إن الله لا يريد الكفر الحاصل من الكافر والفسق الواقع من العاصي يكون قد وقع في ملك الله ما لا يريده وهذا لا يقول به مؤمن.

٤-وقد يأمر بالشيء ولا يريده لحكمة يعلمها عز وجل أحيانًا يظهرها وأحيانًا يخفيها سبحانه وتعالى كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة :٤٦].

فقد أخبرنا سبحانه بالمفاسد التي تترتب على خروجهم مع رسول الله ﷺ فقال: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ [التوبة :٤٧] أي فسادًا وشرًّا ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾ [التوبة :٤٧] أي سعوا بينكم بالفساد والشر ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة :٤٧] أي قابلون منهم مستجيبون لهم فيتولد من سعي هؤلاء وقبول هؤلاء من الشر ما هو أعظم من مصلحة خروجهم فاقتضت الحكمة والرحمة أن أقعدهم عنه [٢].

بهذا التوفيق يزول ما يوهم التعارض بين إرادة الله وأمره ورضاه ومحبته.

صفة العلم

صفة وجودية أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات تعلق إحاطة وانكشاف وإحاطة دون سبق خفاء أو جهل.

(١) جوهرة التوحيد (ص ٧٥- ٧٦).
(٢) شرح الطحاوية (ص ٢٣٣- ٢٣٤).

والدليل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال :٧٥].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [يونس :٦١]، وقوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك :١٤].

وهذه الآية تنكر على الذين يقرون بخلق الله للعالم ثم ينكرون علمه بالأشياء فمن البديهي أن يعلم الخالق خلقه، وقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام :٥٩]، وهذه الآية تدل على شمول علم الله وإحاطته على وجه التفصيل.

أما الدليل العقلي فيصاغ هكذا: إن فعل الله متقن وكل من كان فعله متقن فهو عالم، فإن من نظر في الآفاق وتأمل ارتباطات العلويات بالسفليات سيما في الحيوانات وما هديت إليه من مصالحها وأعطيت من الآلات المناسبة لها، يجزم أن الذي فعل ذلك عالم، وعلم الله لا يوصف بأنه ضروري أو نظري أو بدهي أو تصوري أو تصديقي؛ لأنه صفة قديمة لا تعدد فيها ولا تكثر [١].

وقد أنكر معبد الجهني ومن تبعه علم الله للأشياء إلا بعد حدوثها، وأن الأمر مستأنف بعلم حادث وقدرة وإرادة وقد تبرأ منه عبد الله بن عمر ومن أصحابه، كما أنه من الأمور التي كُفِّر بها الفلاسفة إنكارهم علم الله تعالى بالجزئيات حيث يقصرون علمه على الكليات، أما تفاصيل الأمور ودقائقها فلا يقرون علم الله بها [٢].

* * *

(١) انظر: المواقف (ص ٢٨٥)، والدين الخالص (ص ١٢)، وانظر العقيدة الطحاوية (ص ٩٩).
(٢) انظر: جوهرة التوحيد (ص ٧٧)،وانظر: في الأسماء والصفات (ص٦٦).

صفة الحياة

صفة وجودية أزلية قائمة بذاته تعالى تصحح اتصاف الله تعالى بالعلم والقدرة والإرادة وهي صفة لا تعلق لها. والدليل عليها قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة :٢٥٥]، وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان :٥٨]، ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [غافر :٦٥].

فالله سبحانه هو الحي والحياة هي الصفة التي تصحح لموصوفها الاتصاف بالقدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر فلو لم يكن حيًّا ما ثبتت له هذه الصفات وحياة الله كاملة ليس هناك أكمل منها ولا يُكْتَنَه كنهها وحياته سبحانه لا يلحقها عدم ولا يُقْضى عليها بالفناء والعلم لا يصدر إلا من حي ، سبحانه وتعالى [١].

صفة السمع

صفة وجودية أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالمسموعات تعلق انكشاف فهي تكشف لله تعالى المسموعات وهي الأصوات والكلام، والدليل عليها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج :٧٥]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه :٤٦]، ويقول عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [غافر :٢٠].

فالله سبحانه سميع يسمع كل شيء حتى إنه ليسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الملساء في الليلة الظلماء دون أن يشغله سماعه جماعة عن سماعه جماعة آخرين.

* * *

(١) العقائد الإسلامية (ص ٦٠- ٦١).

صفة البصر

صفة أزلية قائمة بذاته تتعلق بالموجودات وغيرها [١]. والدليل عليها قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء :١] .

وقوله سبحانه: ﴿لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ [الكهف :٢٦] .

وفي الحديث: «اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

والله عز وجل السميع البصير الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء وهو الجدير بالعبادة والتوبة والقصد أما غيره فلا يستحق العبادة يقول تعالى على لسان سيدنا إبراهيم لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريم :٤٢] .

صفة الكلام

صفة وجودية أزلية قائمة بذاته تعالى ليست بحرف ولا صوت فدل على الواجبات والجائزات والمستحيلات [٢]، ويكون الأمر والنهي والخبر والوعد بكلام أزلي قديم قائم بذاته سبحانه وتعالى [٣].

والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء :١٦٤]. وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف :١٤٣]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى :٥١] .

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ [الكهف :١٠٩] .

وقد نفت المعتزلة كلام الله، وكما ينقل شارح الطحاوية أن بعض المعتزلة

---

(١) جوهرة التوحيد (ص ٨٤).

(٢) جوهرة التوحيد (ص ٨١)، ودراسات في العقيدة الإسلامية (ص ٥٨- ٥٩).

(٣) الأربعين في أصول الدين (ص ٢٧).

قال لأبي عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة: أريد أن تقرأ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ﴾ [النساء :١٦٤] بنصب الله، ليكون موسى هو المتكلم لا الله، فقال له أبو عمرو: هب أني قرأت هذه الآية هكذا فكيف تصنع بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف :١٤٣]، فبهت المعتزلي.

يقول شارح الطحاوية: وكم في الكتاب والسنة من دليل على تكلم الله تعالى لأهل الجنة وغيرهم قال عز وجل: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس :٥٨].

فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا أبصارهم فإذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة وهو قول الله تعالى**: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس :٥٨] فلا يلتفتون إلى شيء مما هم فيه من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم وتبقى بركته ونوره».

ففي هذا الحديث إثبات صفة الكلام وإثبات الرؤية وإثبات العلو. وقال البخاري في صحيحه: باب: كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة وساق فيه عدة أحاديث فأفضل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه تبارك وتعالى، وتكليمه لهم ، فإنكار ذلك إنكار لروح الجنة وأعلى نعيمها وأفضله الذي ما طابت لأهلها إلا به [١].

صفات الذات وصفات الفعل

ما مر من إثبات للصفات إنما هي صفات الذات بمعنى أنها صفات قائمة بالله تعالى، وهناك صفات فعل كالخلق والرزق والإحياء والإماتة والغضب والفرح وغيرها من صفات الفعل، ويقول صاحب الطحاوية: «**ما زال بصفاته قديمًا قبل خلقه لم يزدد بكونهم شيئًا لم يكن قبلهم من صفته كما كان بصفاته أزليًا**

(١) شرح الطحاوية (ص ١٣٠- ١٣١).

كذلك لا يزال عليها أبديًا» [١].

ويقول ابن العز في شرح النص السابق: أي أن الله تعالى لم يزل متصفًا بصفات الكمال: صفات الذات وصفات الفعل ولا يجوز أن يعتقد أن الله وُصف بصفة بعد أن لم يكن متصفًا بها؛ لأن صفاته سبحانه صفات كمال وفقدها صفة نقص ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفًا بضده ولا يرد على هذا صفات الفعل والصفات الاختيارية ونحوها كالخلق والتصوير والإحياء والإماتة والقبض والبسط والطي والاستواء والإتيان والمجيء والنزول والغضب والرضا ونحو ذلك مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله وإن كنا لا ندرك كنهه وحقيقته التي هي تأويله ولا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا [٢].

ولكن أصل معناه معلوم لنا كما قال الإمام مالك رضي الله عنه لما سئل عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف :٥٤] كيف استوى؟ فقال الاستواء معلوم والكيف مجهول وإن كانت هذه الأحوال تحدث في وقت دون وقت كما في حديث الشفاعة: **«إن ربي غضب اليوم غضبًا شديدًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله»**؛ لأن هذا الحدوث بهذا الاعتبار غير ممتنع ولا يطلق عليه أنه حدث بعد أن لم يكن، ألا ترى أن من تكلم اليوم وكان متكلمًا بالأمس لا يقال إنه حدث له الكلام فالساكت بغير آفة يُسمى متكلمًا بالقوة بمعنى أنه يتكلم إذا شاء وفي حال تكلمه يسمى متكلمًا بالفعل [٣].

«وهذا الفهم هو الذي يميز صفات الله عن صفات البشر ولذلك كان المنهج السلفي في تناول قضية الصفات الإلهية هو المنهج الأمثل وقاعدته المشهورة تقر أن نثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ ومن غير تشبيه أو تمثيل ولا تأويل ولا

(١) المصدر السابق (ص ٧٩).
(٢) المصدر السابق (ص٧٩- ٨٠).
(٣) شرح الطحاوية (ص ٨٠).

تعطيل وبهذه القاعدة تنحل جميع المشاكل التي تصورها غير السلف من الفرق الأخرى» [١].

واجب المسلم تجاه الصفات:

إن المسلم يجب أن يتجاوز الدراسة الشكلية للصفات التي كان المتكلمون يشمرون ساعد الجد في دراستها مثل هل الصفات هي عين الذات أو زائدة على الذات؟ إلى غير ذلك من المسائل الجدلية.

أقول: إن المسلم عليه أن يستفيد وأن يستلهم روح الصفات الإلهية ويحاول أن يسير على هديها ويستنير بها وأن تكون هي المثل الأعلى الذي يضعه الإنسان نصب عينيه ليصل إليه عبادة وسلوكًا وورعًا وتقوى، إن الصفات الإلهية يجب أن تخلق فينا التوثب والعمل المستمر والسعي الدءوب نحو الاكتمال في حدود الطاقة البشرية إنها يجب أن تسير بالإنسان نحو مقام العبودية التامة لله رب العالمين، ذلك الإطار الذي جعله الله حصنًا لا يستطيع إبليس أن يخترقه حتى يوسوس للإنسان أو يغويه عن صراط الله المستقيم، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ [الحجر :٤٢][٢].

ماذا لو استشعر الإنسان معنى القدرة، فعلم أن الله قادر على كل شيء وأن الله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وأن ما يلوح أمام الناس من طغيان وتكبر وتجبر وظلم وعدوان وبغي في الأرض بغير الحق، الله بقدرته وجبروته قادر على تدمير أصحاب تلك القوة المزعومة، فانظر إلى السكينة والاطمئنان وكيف يشعر بهما الإنسان وهو يعلم أن الله قادر على كل شيء، وماذا يمكن أن تعدل صفة القدرة، من ظلم الإنسان لغيره، إذا أيقن أن الله قادر على كل شيء.

---

(١) انظر: أصول العقيدة الإسلامية (ص ١١٣- ١١٤).

(٢) سورة الحجر الآية: ٤٢، وانظر: أصول العقيدة الإسلامية (ص ١٢٢- ١٢٣) لأستاذنا الدكتور محمد نصار.

ولنقل مثل هذا في صفة العلم، حين يعيش الإنسان مؤمنًا موقنًا أن الله قد أحاط بكل شيء علمًا وأن علم الله لا نهاية له ولا حدود أيمكن بداية أن يعصي الله وهو موقن أن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور؟ أيمكن أن يغتر بعلمه بعد أن تظهر له بعض الأسرار في كون الله؟ إن الإنسان إذا ركب متن الغرور في أمر من الأمور ثم استشعر صفات الله علم أن الله أقوى وأغنى وأعدل وأعلم وهكذا، أي أن تلك الصفات يجب أن تكون أعلامًا هادية للإنسان في حركاته وسكناته يستلهم الإنسان منها - وباستمرار - الوصول إلى الخير الأسمى في علاقة الإنسان بربه وفي علاقته بالمجتمع، لنأخذ مثلاً صفة الرحمة التي تعني الرفق واللين وعدم الشدة وهي المدخل الطبيعي إلى الروابط الاجتماعية، ولما كان الإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع مترابط متماسك فإن لحمة هذا المجتمع وسداه تتحقق بالرحمة فإذا استلهم المؤمن هذه الصفة الإلهية فأي أثر يمكن أن يعود بعد ذلك؟ إن المجتمع الذي لا تسوده الرحمة متقطع الأوصال متهدم البنيان متداع غير متماسك [١].

بين السلف والخلف في النصوص الموهمة للتشبيه

وردت بعض الآيات والأحاديث يوهم ظاهرها التشبيه مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح :١٠] .

وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه :٥].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام :١٨] .

وقوله سبحانه: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر :٢٢] .

وقوله جل وعلا: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود :٣٧].

وقول الرسول ﷺ: «**إن قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن يصرفها حيث شاء**» [٢]. وحديث: «**ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا**».

---

(١) نفسه وانظر: العقائد الإسلامية (ص ٦٤- ٦٥).

(٢) جامع الأحاديث للسيوطي (٢/٢٣٥).

فهذه مجمل الآيات والأحاديث التي يوهم ظاهرها التشبيه. وللعلماء مسالك تجاه هذه الآيات والأحاديث:

أولًا: مذهب السلف: يرون عدم الخوض في مثل هذه الآيات والأحاديث وعدم التعرض لمعناها وقالوا: الله أعلم بمراده منها.

فلو أن قائلاً قال: كيف ينزل ربنا إلى السماء الدنيا؟ قيل له كيف هو؟ فإذا قال: لا أعلم كيفيته، قيل له: ونحن لا نعلم كيفية نزوله، إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف وهو فرع وتابع له، فكيف تطالبنا ببيان كيفية سمعه وبصره وتكلمه واستواؤه ونزوله؟ وأنت لا تعلم كيفية ذاته، وإذا كنت تقر بأن لله عز وجل حقيقة ثابتة في نفس الأمر مستوجبة لصفات الكمال لا يماثلها شيء فسمعه وبصره وكلامه ونزوله واستواؤه سبحانه ثابت في نفس الأمر وهو متصف بصفات الكمال التي لا يشابهه فيها سمع المخلوقين وبصرهم وكلامهم ونزولهم واستواؤهم [(١)].

ويقف السلف على لفظ الجلالة في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران :٧] .

وهذا المسلك هو الأسلم ؛ لأن وصف الله تعالى بهذه الصفات فوق مستوى العقول البشرية، وقد وردت النصوص الكثيرة عن السلف لتؤكد هذا المسلك.

١-روى أبو بكر الخلال في كتاب السنة عن الأوزاعي قال: سُئل مكحول والزهري عن تفسير الأحاديث فقالا: أَمِرُّوها كما جاءت. وروي أيضًا عن الوليد بن مسلم قال: سألت مالك بن أنس وسفيان الثوري والليث بن سعد

(١) الروضة الندية (ص ٣٤) نقلاً عن الإيمان حقيقته وأركانه (ص ١٨)

والأوزاعي عن الأخبار التي جاءت في الصفات فقال: أَمِرُّوها كما جاءت وفي رواية: فقالوا أمروها كما جاءت بلا كيف.

٢-وروى الخلال بإسناد، كلهم أئمة ثقات، عن سفيان بن عيينة قال: سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه :٥] كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ المبين وعلينا التصديق [١].

٣-يقول ابن القيم: تنازع الناس **«يقصد الصحابة»** في كثير من الأحكام ولم يتنازعوا في آيات الصفات وأخبارها في موضع واحد بل اتفق الصحابة والتابعون على إقرارها وإمرارها على حقائقها مع فهم معانيها.

وقد ذهب الإمام الجويني في الرسالة النظامية في الأركان الإسلامية **«ذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها إلى الرب تعالى والذي نرتضيه رأيًا وندين لله به عقدًا اتباع سلف هذه الأمة فالأولى الاتباع وترك الابتداع»** [٢].

هذا هو رأي السلف إجراء النصوص على ظاهرها بدون تأويل، وهذا هو الذي نميل إليه ؛ لأنه ما عليه الصحابة والسلف الصالح.

المسلك الثاني: مسلك الخلف:

الذين ذهبوا إلى تأويل هذه الآيات على ما يليق بجلال الله تعالى وذلك أنهم قالوا: إنه قد ثبت مخالفة الله تعالى لجميع خلقه وأنه لا يشبه شيئًا من الحوادث، ولما كانت هذه الآيات والأحاديث توهم مشابهة الله لخلقه وجب تأويلها، وصرفها عن ظاهرها فقالوا في قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ [الفتح :١٠] قدرته فوق قدرتهم فأولوا اليد بالقدرة وقالوا في قوله تعالى:

(١) انظر: مجموعه الفتاوي الأسماء والصفات (ص ٣٩- ٤٠).
(٢) العقيدة النظامية نقلاً عن العقيدة الإسلامية (ص ٣٢).

﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ [هود :٣٧] أي بحراستنا ورعايتنا فأولوا العين بالرؤية والحراسة والعناية، وأولوا الوجه في قوله تعالى: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمٰن :٢٧] أي بالذات، أي تبقى ذاته تعالى [١].

ونحن نرى أن كل مسلك من هذين المسلكين قصد تنزيه الله تعالى عن مشابهته للمخلوقات، وبالتالي فهم متفقون على نفي المعنى الإنساني عن الله عز وجل وصرف حقيقة الألفاظ اللغوية عنه سبحانه وتعالى، والفارق الوحيد بين السلف والخلف هو أن السلف توقف عند ظاهر النصوص ولم يخوضوا في معناها ووكلوا العلم لله وقالوا الله أعلم بمراده [٢].

أما الخلف فقد أولوا اللفظ وصرفوه عن ظاهره إلى معنى يليق بالله تعالى، ولذلك نقرر أن الفريقين متفقان على تنزيه الله تعالى وعدم مشابهته لخلقه.

وكما يقرر الدكتور يحيى ربيع أن: «**هذين الرأيين - أعني التفويض والتأويل - لا يصح أن يكونا مادة للتكفير أو التفسيق أو حتى التجهيل بل لا يصح أن نجعل من هذا الخلاف وسيلة للتفرق والتشرذم ما دمنا متفقين على التنزيه وعدم التجسيم والتشبيه، مع ملاحظة أن هناك بعض الفرق لكل منهم رأي في الصفات وهؤلاء لا علاقة لهم بمذهب السلف والخلف وهم المجسمة الذين يرون أن الله جسمًا كالبشر، والمعطلة الذين يتصورون أن الله لا يتكلم ولا يسمع ولا يبصر، فهؤلاء عطلوا الله عن صفاته العليا وأسمائه الحسنى**[٣].

* * *

(١) في العقيدة الإسلامية (ص ٣٣).
(٢) نفسه.
(٣) في الأسماء والصفات (ص ٨٨- ٩٠).